مقدمـــة

يفخر التاريخ المصرى عبر عصوره بإمكانات بشرية من الإبـــداعات المثمرة أضافت للأدب العربى إنجازات هامة وللإنسان المصرى آفاقـــا لا حدود لها تحلقت به إلى اتجاهات حياتية ممتزجة بالشعور بالحيـــاة التـــى تدور حوله بما فيها من مباهج ومتاعب خاصة إذا كان المبـــدع قـــد نـــشأ وترعرع بين أوساط المصريين البسطاء والعامة وعاش عيشتهم وأحـــس بإحساسهم، وعاش بين الحوارى والأزقة والتصق بأهلهـــا ووقـــف علـــى ملامح حياتهم المصرية الخالصة وما يظللها من بؤس وحرمان، وخـــالط الناس بجميع طبقاتهم حيث انبعث عن غمار عامة الشعب، وعانى وذاق ما يعانيه أفراده من فقر وحرمان فالتأم شقاؤه بشقاء أمته فكانت أشعاره تعبيرا حيا عما يدور بخلد الشعب فعمل على رفع مستوى شعبه الاجتماعى وبعث وعيه الوطنى وقد انفرد حافظ بهذه الخاصية بين شعراء عصره فكان من أعلم الناس بمشاكل هذا المجتمع وعيوبه خاصة وأنه عـــاش بـــين طـــين مصر، وأجرى ماء النيل فى دمه كل آلام المصريين وآمالهم ومـــشاعرهم وسكبت سماء مصر فى روحه روح مصر الخالدة وما تشعر به ، فكـــان أسلوبه التهكمى فى قصائده يحمل التنكيت والتبكيت معا فأحيانا يـــستهجن أفعال المصريين ويلهب ظهورهم ويكشف سوءاتهم وفـــى نفـــس الوقـــت يحتضنهم ، ويعانقهم بقلبه وعقله ، وبمشاعره، وفى أحيان أخرى يداعبهم ويشجعهم على ولوج ركب النهضة ويبعث النخوة فـــى نفوســـهم وكانـــت عباراته سهلة بالنسبة لهم ومعانيها أوضح لأنه كان يحس إحساسا قويا أنه يخاطب الشعب المصرى فى مجموعه، فعبر شعره ذو الأسلوب الكلاسيكى

الحديث عن الأحاسيس الشعبية بطريقة يمكن لرجل الشارع أن يفهمها ، فكان يلقى شعره علنا أمام الناس يوضح فيه مشاكلهم الاجتماعية ويعبر عن رآيه فى أحداث الوطن مؤكدا دعمه للمطالب الوطنية ، كما ساهم حافظ بآرائه فى الصحافة المصرية يتندر على من حوله من الناس الذين يتقبلون كل ما يقوله حافظ قبولا طيبا لأن شخصيته البسيطة التى تأثرت باليتم المبكر كانت هى التى تحرك لسانه وتقود أفعاله، فراح فى مجموع شعره يبكى حظه وحظ أمته ، وكانت آراؤه فى روحها وجوهرها تعبيرا عما يجيش فى صدور أبناء وطنه ، لذلك كان أول شاعر مصرى يعالج مشاكل وطنه بأسلوب شعبى سهل على الناس استيعاب المفاهيم الوطنية الذى كان إدراكها قاصرا على الصفوة ، وعاش يتأمل أوضاع وطنه ويعانى مشاكله فترجم بشعره عما يجول بخاطر شعبه ، فطالما غذى الناس بشعره وهيجهم بأفكاره، وأضحكهم وأبكاهم مما أقلق بال رجال السياسة، ونازله خصومه من الشعراء والأدباء فنال منهم أكثر مما نالوا منه، وكانت دعوته ذات تأثير قوى فى نفوس مواطنيه لأنها نابعة من شعور عميق بما يعانيه الوطن من متاعب وآلام ورغبة فى العودة إلى الإصلاح والنهوض بالمجتمع.

إن حياة حافظ ابراهيم تحتل عصرا كاملا من عصور حياة مصر والمصريين فقد نشأ فى عصر اسماعيل ذلك العصر الذى ازداد فيه التدخل الأجنبى بعد الأزمة المالية التى نتجت عن القروض التى عقدها والتى أدت إلى المراقبة الثنائية لإنجلترا وفرنسا على شئون مصر المالية ، وأن يكون لكل من الدولتين وزير فى الوزارة المصرية مما كان له أثره فى نمو الحركة القومية ، وارتفاع صوت المصريين بالإصلاح، وأن تكون مصر

للمصريين لا للأتراك ولا للأوروبيين وساعد على ذلك ظهور الصحف الوطنية ، ولم تلبث الظروف أن أطاحت باسماعيل عن عرشه فخلفه ابنه توفيق الذى ازدادت الأمور فى عهده سوءا، فانفجرت الثورة العرابية التى كانت صدى لأمانى المصريين وتطلعاتهم، إلا أن مثل هذه الحركة لم تكن لترضى عنها الدولة الاستعمارية لذلك سعت لإحباطها وانتهى الأمر بالاحتلال الانجليزى لمصر فى عام ١٨٨٢ ، ومنذ ذلك التاريخ لم يكف المصريون عن مقاومة الاحتلال، فقامت الزعامات المصرية وعلى رأسها مصطفى كامل ومحمد فريد بالدعوة إلى الجلاء وخروج المحتلين ، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أعلنت انجلترا حمايتها على مصر وقامت بعزل الخديوى عباس الثانى ولما انتهت الحرب، وأعلنت مبادئ الرئيس الأمريكى ولسن الأربعة عشر والتى تتضمن حق تقرير مصير الشعوب توقع المصريون خيرا وطالبوا بالاستقلال ، ولما يئسوا من الاستجابة لمطلبهم قامت ثورة ١٩١٩ التى أظهرت إصرار المصريين على حقهم فى الحرية والاستقلال ، وأبرزت الوحدة بين عنصرى الأمة فى جبهة كفاح واحدة، وانتهت باعلان استقلال البلاد المنقوص بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، ثم صدور دستور ١٩٢٣ وبداية الحياة البرلمانية فى مصر، وتشكيل وزارة الشعب برئاسة سعد زغلول وما أعقبها من وقوع مقتل السردار واستقالة سعد ووفاته فى عام ١٩٢٧ وإلغاء صدقى لدستور ١٩٢٣ وما تبعه من أحداث وخلال ذلك استمر حافظ ابراهيم منفعلا مع أحداث وطنه حتى آخر لحظة فى حياته.

وتبعا لذلك فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة فصول تناولت نشأة وتكوين حافظ وشعره السياسى والاجتماعى والفكاهى بالإضافة إلى المقدمة

والخاتمة وقد عنون الفصل الأول، حافظ ابراهيم بين النشأة والتكوين ، وشمل حياة حافظ وتبرمه بكل قيود الحرية، واختلاط نفسه بنفس الشعب المصرى وامتزاج روحه بروحه حتى عبر عن مطالبه بكل صدق وموضوعية.

وعنون الفصل الثانى " شعر حافظ السياسى"، وتم فيه تناول قصائده الوطنية التى كانت تنادى بالنهضة وتبعث على النخوة بكل ما تجيش به نفسه من المعانى بعد أن أنتهت الثورة العرابية بنكبة الاحتلال وتطلع المصريون إلى الحرية والدستور.

وعنوان الفصل الثالث "حافظ ابراهيم شاعر مصر الاجتماعى" وفيه تعرض حافظ لحياة مصر والمصريين بشكل مباشر، واقتحم خفاياهم، والهب بين ثنايا شعره ظهورهم وكشف عيوبهم واستهجن أفعالهم بأسلوب واضح جعل البعض يطلق عليه شاعر مصر الاجتماعى بلا منازع.

أما الفصل الرابع فقد كان بعنوان "الفكاهة فى شعر حافظ ابراهيم "، وفيه برزت نوادره ودعاباته بشكل يجمع بين التنكيت والتبكيت ومن هذه الفصول وهذه الدراسة يتبين لنا أن حافظ أوقف حياته على التغنى بأحاسيس قومه وأفكارهم وآلامهم وآمالهم ، وأنه كان صادق الشعر فى مصريته ، وفى كل ما كتبه من أشعار، وكل ما نأمله أن نكون قد أعطيناه حقه، وأن يتعرف أبناء الجيل الجديد على تضحياته.

والله ولى التوفيق